

المسرح في السودان: فن وافد ونافذة لفهم المجتمع

التطهير والترفيه والاتصال من وظائف المسرحيات في بلاد ذات ثقافة هجينة

ما يخرزته المسرح المعاصر من أشكال ثقافية متشابكة ساهم في جذب اهتمام العلماء من مختلف مجالات العلوم الإنسانية، حيث أدى التقدم اللافت في فنون الأداء وانفتاحها من النص إلى الحركة ومن الصمت إلى الفعل ومن القول إلى الإضمار وغيرها من ثنائيات اللعب، إلى تنشيط التفكير النظري والبحث الذي بدأ يدرك أن الأداء الفعّال يلعب دوراً اجتماعياً أساسياً في منح المادة الثقافية معنى. كما ترسخ مع مرور الزمن الدور الأنثروبولوجي للمسرح الذي بات يعتبر بوابة لفهم الشعوب وثقافتها.



محمد الحماصمي
كاتب مصري

تتم أهمية دراسة "المسرح السوداني المعاصر ودوره في الواقع" للباحث محيي عبدالحى في كونها تتناول العلاقة بين المسرح بوصفه ظاهرة اجتماعية ومعطيات التحليل الأنثروبولوجي لتطور الظواهر الاجتماعية، ومن بينها الظواهر الثقافية والفنية والتي يعد المسرح واحداً منها.

فن وافد

ويتناول عبدالحى دور المسرح المعاصر في السودان وما قدمه من أعمال، في محاولة للتعرف على التغييرات التي طرأت على القيم المجتمعية لمجتمع الدراسة: الخرطوم، أم درمان، الخرطوم بحري.

المسرح والأنثروبولوجيا

يعد المسرح مصدراً مهماً للباحث الأنثروبولوجي كونه يتناول قضايا مجتمعية من أجل معرفة الكثير عن أفكار الشعوب وتفسير سلوكياتها ورؤيتها إلى ذاتها وإلى الآخرين، حيث يقدم المسرح إلى الباحث قراءة حقيقية عن المجتمع وطرائقه المتنوعة من أجل التعايش مع ظروفه، وقدرته أفراد هذا المجتمع على الإنتاج الثقافي الملائم لمختلف أدوارهم الاجتماعية ومواقفهم الفكرية.

المسرح السوداني بين النقد الاجتماعي والتحرير من قمع السلطة ويحاول تشكيل القيم المجتمعية

ويرصد الباحث أيضاً في دراسته الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب الأدوار المتعددة والدلالات الثقافية والاجتماعية التي تعبر عن السمات العامة للمجتمع السوداني، وتلقي الضوء حول أنواع المسرح المختلفة وتبرز خصائص المسرح السوداني المعاصر، حيث يسعى إلى التعريف بالمسرح السوداني المعاصر وأشكاله ومكوناته وخصائصه الثقافية، ووظائفه، وأثرها في القيم المجتمعية، والكشف عن القيم المجتمعية التي يعكسها ويشكلها هذا المسرح.

ويشير عبدالحى إلى أنه تناول المسرح السوداني من خلال المرئي والمسعود المتمثل في العرض المسرحي في ضوء القيم، سواء أكان حياً أم مسجلاً، حيث تم الاعتماد على قراءة بعض النصوص المسرحية المختارة، وكذلك مشاهدة بعض العروض المسرحية الحية والمسجلة.

ويقول الباحث "لا يزعم التعرض إلى جماليات النص أو العرض المسرحي، فهذا موضوع آخر له دارسوه ومتخصصوه، إلا أنني أولى اهتمامي على الدراسة الأنثروبولوجية لدور المسرح التي تعرض للقيم المجتمعية في السودان من خلال التفسير والتحليل وربط النص والعرض المسرحي بمجتمع البحث وبالسمات والعناصر الثقافية المتوارثة وما طرأ على المجتمع من تغييرات، من أجل الكشف عن أهم القيم المجتمعية التي رسخ المسرح السوداني المعاصر لبقائها، وكذلك البحث عن القيم المكتسبة الجديدة التي شكلها المسرح في مجتمع الدراسة".

ولفت الباحث إلى أن المكونات والخصائص الثقافية في مجتمع الدراسة والتي تتمثل في طبيعة المجتمع الجغرافية وتراثه التاريخي والحضاري انعكست في كل الأبنية ومنظومة القيم المجتمعية، وعناصر كثيرة أخرى



المسرح السوداني المعاصر كاشف المجتمع وعالج قضاياها



فن لم يمتلك خصوصيته بعد



الثقافة السودانية الهجينة أثرت في المسرح

المؤدي إلى تفكك الأسرة وتحللها، حيث وجهت المسرحية نقداً لاذعاً إلى القيم الاقتصادية الدارجة والتي ترسخ للعرف السائد في المجتمع، والمتمثل في ارتفاع قيمة المهور لمرايسم الزواج السوداني، فجاء التوظيف كاشفاً للتقاليد السلبية التي يجب الاستغناء عنها.

وتناول الباحث بالتطبيق والتحليل مسرحية "النظام بريد" كاشفاً عن دورها في تشكيل القيم المجتمعية من خلال جميع قيم المحتوى "النظرية والاجتماعية والساسية والاقتصادية والدينية والجمالية"، حيث قامت المسرحية بدور حيوي في بث وتشكيل القيم المجتمعية، محققة تفاعلاً ونجاحاً جماهيرياً، واستمرت ما يقرب من أربعة أعوام واستحوذت على نسبة مشاهدة تجاوزت 900 ألف مشاهد من أفراد المجتمع في معظم أنحاء السودان، مما يدل على مدى التفاعل الجماهيري ومدى الدور الذي قامت به.

تطوير الفن الرابع

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن المكونات والخصائص الثقافية في مجتمع البحث انعكست في

ويوضح أن الوظيفة الاجتماعية للمسرح تعمل على بث وترسيخ القيم الاجتماعية من خلال إعداد وتنشئة وتشكيل أفراد المجتمع، وتأكيد الضبط الاجتماعي، حيث يعد الضبط الاجتماعي أحد الوسائل والنظم التي تتبع في المجتمع، لحفظ النظام وتحقيق تماسك المجتمع، وتطبيق سلوك أفرادها مع مجموعة من القواعد من أجل تحقيق الأهداف العامة والحفاظ على قيمه الأساسية.

وقد اتخذت مسرحية "خطوبة سهير" نموذجاً لإحدى قيم المحتوى "القيم الاجتماعية"، حيث تناولت المسرحية قضايا التفكك الإنساني في المجتمع السوداني، وكشفت الأبعاد الاجتماعية للشخصيات والتغيرات والتحولات الكبيرة التي وصل إليها المجتمع، كما أبرزت دور المرأة في المجتمع، وكذلك كشفت الصورة الإنهزامية للرجل واغترابه.

ومن ثم عملت العديدين المسرحيات السودانية على ترسيخ وظيفة المسرح في إيجاد معادل درامي يجعل المتلقي ناعماً على القيم السلبية متفاعلاً مع القيم الإيجابية؛ من أجل إحداث التفاعل المرجو مع قيم التواؤم الأسرية.

وقد اتخذ الباحث مقالاً على المسرح الوظيفي مسرحية "أكل عيش" التي تناولت قضايا الفساد والغش والكذب، وأوضح الدور الحيوي الذي قامت به المسرحية، حيث جاء التوظيف كاشفاً للسلوك الاجتماعي من خلال إظهار القيم المستحدثة في المجتمع السوداني وفضحها، والتي لا تمثل أعراف وتقاليد المجتمع الأصيلة، فعملت المسرحية على بث القيم الاجتماعية الإيجابية.

وتكشف المسرحية التحولات التي أصابت القيم الاقتصادية في المجتمع السوداني ساعية إلى تعرية الواقع المرير الذي يمر به المجتمع من كذب وزيف، وجاء مضمون الخطاب المرسل بين ثنائي النص ليضع قضية البطالة عاملاً مؤثراً في تغيير السلوك الإنساني وبالتالي منظومة القيم.

كما اتخذ عبدالحى مسرحية "نبئة حبيبتى" نموذجاً لإحدى قيم المحتوى "القيم السياسية" حيث يكشف من خلالها صراع الشعب ضد الفقر والجوع والاستغلال السياسي والديني من قبل سلطة الكهنة الظالمة، فعملت المسرحية على إيقاظ الشعور الوطني لدى المتلقي، حيث عملت الوظيفة على التحريض وأثارت قيم العدل والتحرر من قمع السلطة الذي يحث الأفراد على المشاركة السياسية داخل المجتمع. ومن جانب آخر مع مسرحية "الملك نمر" خلص إلى أن المسرحية اتخذت الوحدة الوطنية طريقاً إلى الخلاص والتحرر من الاستعمار.

قضايا الزواج مركزة على التسلب الاجتماعي في بيئة الأسرة، وما يترتب عليه من إشكالات في عدم الاستقرار

"المسرح الحر" والذي اتحدت على إقامته مجموعة من الجهات الإبداعية عملت على تنشيط الحياة المسرحية، وكان لها دور معرفي في نشر الثقافة.

وظائف المسرح

ويرى الباحث أن معظم المسرحيات التي قدمت منذ بدايات المسرح في السودان قد تعرضت إلى بعض القيم المجتمعية عبر مضامين المسرحيات مثل الوحدة الوطنية كما في مسرحية "الملك نمر"، والدعوة إلى التعليم كما في مسرحية "المرشد السوداني"، وإزكاء الشعور الوطني والقومي كما في مسرحية "صلاح الدين الأيوبي"، ومحاربة الشر وارتكاب الجرائم عبر القيم السلبية المتمثلة في النفاق الذي يستشري في الحياة الاجتماعية كما في مسرحية "خراب سوبا" والتأكيد على القيم الإيجابية مثل مظاهر البطولة، الكرم، النبل، الوفاء، الحي والوحدة الوطنية كما في مسرحية "الملك النمر".

وكذلك تعرضت المسرحيات إلى بعض القيم التي تصدرت في مجابهة ومحاربة الفساد الإداري وقضايا المحسوبية والرشوة وفساد كبار الموظفين، كما في مسرحية "أكل عيش" وأيضاً

التعرض إلى العديد من القيم الاجتماعية مثل إشكالية الاغتراب عن الواقع أو الفصام الاجتماعي كما في مسرحية "خطوبة سهير"، وكذلك بث قيمة العدالة من خلال استنهاج التراث عبر القيم الدينية والمضامين والممارسات الشعبية كما في مسرحية "حصان البياضة" وكذلك نبذ القيم السلبية والثورة على التقاليد الاعتقادية الدينية والسياسية القمعية كما في مسرحية "نبئة حبيبتى".

ويكشف الباحث أن للمسرح ووظائف عديدة منها الوظيفية التطهيرية والنفسية والترفيهية والاتصالية، وقد تناول وظائف المسرح في مجتمع البحث، وخلص إلى أن الوظيفة الثقافية للمسرح تعمل على تنوير المجتمع بالمعرفة، واتخذ مسرحية "المرشد السوداني" نموذجاً لإحدى قيم المحتوى "القيم النظرية" حيث كشف من خلالها عن وظيفة المسرح ودوره المهم في التفاعل المجتمعي؛ حيث عملت المسرحية على بث قيم العلم ونشر الوعي ومحاربة الجهل والريذيلة.

